

## الخرقة عند الصوفية (٥)

### نقد مسألة الخرقه عند الصوفية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .. وبعد

### أولاً: بطلان سند الخرقه المزعوم

كما تقدم أن لدى الصوفية ما يسمونه الإسناد في الخرقه، ويزعمون اتصال سلسلة إسناد شيوخهم بالنبي صلى الله عليه وسلم والأكثر يجعلون سندها إلى علي بن أبي طالب والأشهر عن الحسن البصري عن علي رضي الله عنه.

والناظر في حقيقة هذه الأسانيد يجد أنها كذب واختلاق لا يثبت منها شيء وإليك نقول أهل العلم في بيان بطلان تلك الدعوى:

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: "وأما الخرقه المنسوبة إلى علي فإسنادها إلى الحسن البصري، والمتأخرون يصلونها بمعروف الكرخي، فإن الجنيد صحب السري السقطي، والسري صحب معروف الكرخي بلا ريب.

وأما الإسناد من جهة معروف فينقطع، فتارة يقولون إن معلوما صحب علي بن موسى الرضا، وهذا باطل قطعاً، لم يذكره المصنفون لأخبار معلوم بالإسناد الثابت المتصل، ومعلوم لم يكن ممن يجتمع بعلي بن موسى ولا نقل عنه أنه اجتمع به، أو أخذ عنه شيئاً، بل ولا يعرف أنه رآه، ولا كان معلوم بوابه، ولا أسلم على يديه، وهذا كله كذب.

وأما الإسناد الآخر: فيقولون: إن معلوما صحب داود، وهذا أيضاً لا أصل له، وليس في أخباره المعروفة ما يذكر فيها، فوي إسناد الخرقه أيضاً أن الحسن صحب داود الطائي صحب حبيباً العجمي، وهذا أيضاً لم يعرف له حقيقة، وفيها أن الحسن صحب علياً، وهذا باطل باتفاق أهل المعرفة فإنهم متفقون على أن الحسن لم يجتمع بعلي، وإنما أخذ عن أصحاب علي، أخذ عن الأحنف بن قيس، وقيس بن عباد وغيرهما عن علي وهذا رواه أهل الصحيح.

والحسن ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وقتل عثمان وهو بالمدينة كانت أمه أمة لأم سلمة، فلما قتل عثمان حمل إلى البصرة، وكان علي بالكوفة، والحسن في وقته صبي من الصبيان لا يعرف ولا له ذكر".<sup>١</sup>

<sup>١</sup> منهاج السنة (٨/٤٤-٤٥).

وقال أيضا في منهاج السنة عند ذكر علي بن موسى "وما يذكره بعض الناس أن معروفا الكرخي كان خادما له، وأنه أسلم على يديه، أو أن الخرقه متصله منه إليه فكله كذب باتفاق من يعرف هذا الشأن"<sup>١</sup>.

وقال في الفتاوى عن صحبة الحسن لعلي رضي الله عنه: "وقد اتفق أهل المعرفة بالمنقولات أن الحسن لم يصحب عليا ولم يأخذ عنه شيئا"<sup>٢</sup>.

وقال **السخاوي رحمه الله** في المقاصد الحسنة: "حديث لبس الخرقه الصوفية وكون الحسن البصري لبسها من علي قال ابن دحية وابن الصلاح إنه باطل، وكذا قال شيخنا<sup>٣</sup>: إنه ليس في شيء من طرقها ما يثبت ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقه على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه ولا أمر أحدا من أصحابه بفعل ذلك، وكل ما يروى في ذلك صريحا فباطل، وقل: ثم إن من الكذب المفتري قول من قال: إن عليا ألبس الخرقه الحسن البصري، فإن أئمة الحديث لم يشبوا للحسن بن علي سماعا فضلا عن أن يلبسه الخرقه"<sup>٤</sup>.

وقد نص على بطلان حديث إلباس علي الخرقه للحسن العلامة عبد الرحمن بن علي البيهقي الشافعي، ومحمد بن عبد الباقي الزرقاني، وإسماعيل بن محمد العجلوني، وقال الشوكاني: باطل لا اصل له<sup>٥</sup>.

كما نص على بطلانه ملا علي القاري.

وقد حاول **السيوطي** إثبات سماع الحسن من علي: "وليس ذلك بأولى من إنكار أئمة الحديث له، ثم هو لا يثبت الدعوى الخاصة التي هي لباس الخرقه"<sup>٦</sup>.

ومن وجه آخر فإن تخصيص علي رضي الله عنه بشيء من الدين هو من بدع الرافضة وقد اشار إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته عند ذكره لتأثر الصوفية بالرافضة "حتى إنهم لم أسندوا لباس خرقه التصوف ليجعلوا أصلا لطريقتهم وتخليهم رفعوه إلى علي رضي الله عنه وهو من هذا المعنى"<sup>٧</sup>.

<sup>١</sup> منهاج السنة (٦١/٢-٦٢).

<sup>٢</sup> مجموع الفتاوى (٢٤٤/١٣).

<sup>٣</sup> أي ابن حجر

<sup>٤</sup> المقاصد الحسنة (٢٣١) (٨٥٢).

<sup>٥</sup> الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (٢٥٣)(٧٥٣).

<sup>٦</sup> رسالة الشرك ومظاهره للميلي (٢٨٧).

<sup>٧</sup> مقدمة ابن خلدون (٥٢٣).

وكذا حال سند الخرقه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: "لبس عمر للخرقه وإلباسه ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم للخرقه وإلباسه يعرف كل من له أدبي معرفة أنه كذب"<sup>١</sup>.

وقال علي ملا قاري بعد ذكره لبطلان الخرقه المنسوبة إلى علي رضي الله عنه من طريق الحسن البصري: "وكذا نسبة الخرقه إلى أويس وأنه عليه الصلاة والسلام أوصى بخرقته لأويس، وأن عمر وعلي سلمها إليه وأنها وصلت إليه منه، وهلم جرا فغير ثابت، ولو ذكره بعض المشائخ فالمراد على طريقة الصحة، ومتابعة الكتاب والسنة، ومجانبة الهوى، ومقاربة الهدى والعقابة للتقوى"<sup>٢</sup>.

فلبس الخرقه بدعة مذمومة لم يثبت بنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة، ولا التابعين، وفي تقرير ذلك بقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد عُقل بالنقل المتواتر أن الصحابة لم يكونوا يلبسون مريدهم خرقه، ولا يقصون شعروهم، ولا التابعون، ولكن هذا فعله بعض مشائخ المشرق من المتأخرين"<sup>٣</sup>.

وقال **ابن الجوزي** وهو يتحدث عن الصوفية: "وقد قرروا أن هذه المرقعة لا تلبس إلا من يد شيخ وجعلوا لها إسنادا متصلا كله كذب ومحال"<sup>٤</sup>.

بل حتى الصوفية تصرح بعدم ثبوت سند للخرقه وفي ذلك يقول الشعراي: "إن سند التلقين ولبس الخرقه كان السلف يتناولونها فيما بينهم من غير ثبوت من طريق المحدثين"<sup>٥</sup>.

وأما استدلالهم بحديث أم خالد، وحديث البردة على مشروعية الخرقه فهو استدلال لا تقوم به حجة، وقد قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** بعد أن ذكر أن لباس الخرقه التي يلبسها بعض المشائخ المريدين، ليس لها أصل يدل عليها الدلالة المعتبرة من جهة الكتاب والسنة وساق الحديثين: "وليس في هذين الحديثين دليل على الوجه الذي يفعلونه، فإن إعطاء الرجل لغيره ما يلبسه كإعطائه إياه ما ينفعه، وأخذ ثوب من النبي صلى الله عليه وسلم على وجه البركة كأخذ شعره على وجه البركة، وليس هذا كلباس ثوب أو قلنسوة على وجه المتابعة والافتداء"<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> مجموع الفتاوى (١٠٤/١١).

<sup>٢</sup> لأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (١٨١).

<sup>٣</sup> منهاج السنة (٤٧/٢).

<sup>٤</sup> تلبس إبليس (١١٤١/٣).

<sup>٥</sup> مجموع الفتاوى (٥١٠/١١).

<sup>٦</sup> مجموع الفتاوى (٥١٠/١١).

وقال **ابن الجوزي** في رده استدلال الصوفية بحديث أم خالد: "قلت إنما ألبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونها حبيبة، وكان أبوها خالد بن سعيد بن العاص، وأمها هيمنة بنت خلف، قد هاجر إلى أرض الحبشة فولدت لها هناك أم خالد واسمها أمة ثم قدموا فأكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك لصغر سنها، وكما اتفق فلا يصير هذا سنة، وما كان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلباس الناس، ولا فعل هذا أحد من أصحابه وتابعيهم"<sup>١</sup>.

وأما استنباط **السيوطي** لجواز الخرقعة بتعميم النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف فاستنباط قد جانبه الصواب فيه، وهو في غير محله إذ حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في لبس العمامة وكيفيتها، وأين لبس العمامة مع لبس الخرقعة الذي له شرائط وآداب لا تتحقق في كل أحد. وبهذا يتبين بطلان سند الخرقعة وليس هو بأول بدعة عند الصوفية بل لا زالوا يتفننون في وضع الإسناد ليربطوا طرقهم بعظماء الزهاد وإن اشتملت على ضروب من الضلال والفساد حتى جاء في العصور المتأخرة من اختصر الإسناد وادعى أنه تلقى طريقته من خاتم الأنبياء من غير واسطة<sup>٢</sup>.

### ثانياً: بيان أن لبس الخرقعة مأخوذ من الديانات السابقة:

- الناظر في كتب تاريخ الأديان يجد أن اتخاذ الصوفية للخرقة مشابه لما اتخذته بعض الديانات من لباس يعتبر شعاراً مقدساً في دياناتهم، يمنح لأهل الزهد الرهينة.

"فمن أبرز خصائص الرهبان البوذيين لبس اللباس الأصفر وهو عبارة عن قطعتين من القماش المصبوغ بالأصفر، يتخذون إحداها إزاراً والأخرى رداءً على شكل لباس الإحرام، ويضعون فوقهما بعض الرقعة، دلالة على الزهد، والفقر والمهانة، ولا يلبسون غير هذا اللباس طوال مدة رهبانيتهم. والبوذيون يقدسون هذا اللباس إلى حد بعيد، ويعتبرونه شعاراً مقدساً في ديانتهم"<sup>٣</sup>.

جاء في كتاب "**بودا دهارما**" إن اللباس الأصفر رمز مقدس لرهبانية بودا، فلا يلبسه إلا الرهبان لأنهم يمثلون شخص بودا"<sup>٤</sup>.

وكان هذا اللباس في القديم عبارة عن الخرق الملتقطة من المزابل أو أكفان الموتى.

<sup>١</sup> تلبس إبليس (١١٤٣/٣).

<sup>٢</sup> انظر: جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي عباس التيجاني لعلي حرازم (١/١٢٩).

<sup>٣</sup> البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية (٢٩٧).

<sup>٤</sup> المرجع السابق (٢٩٧).

فقد جاء في كتاب "تري بيتاكا" أن رجلا يدعى "جيفاكا" وكان طيبا للملك "يميسارا" قصد إلى بوذا ليهدي إليه الثوب المصبوغ من أجود الصوف فرفض بوذا قائلا:

"إن بوذا" غوتاما" لا يلبس إلا رداء منسوجا من الخرق المتقطعة من المزابل، أو من بقايا أكفان الموتى، وهو ما يجب أن يرتديه الأخوة الرهبان الزهاد".<sup>١</sup>

ومن هنا وردت حكايات كثيرة عن الرهبان في القديم الذين يرفضون الهدايا من الثوب، ويفضلون لبس الخرق التي يلتقطونها من المزابل ومن أكفان الموتى فيرقعوها، ويصبغونها بالأصفر.<sup>٢</sup>

ويروى عن بوذا أنه كان يلبس هذه الخرقة الصفراء تلاميذه الأوائل الذين اندمجوا في جماعة الرهبان.<sup>٣</sup>

ولا زال هذا المسلك عند البوذية إلى اليوم وفي ذلك يقول د. عبد الله نومسوك "وعلى هذا فقد جرت عادتهم إلى الآن أن شيخ المعبد أو مثله هو الذي يلبس اللباس الأصفر المرقع للرهبان المبتدئين".<sup>٤</sup>

فيتضح أن لبس الخرقة على الهيئة التي يعتمدها بعض طرق الصوفية يرجع أصله إلى الديانة البوذية التي جعلت من خصائص الرهبان البوذيين لبس الخرقة الصفراء والاعتقاد بقداستها.

هذا التشابه والتوافق حدا بالمستشرق جولد زهير أن يقول: "ومما يدل على أثر العقائد الهندية أن المرید عندما يتم قبوله في الجماعة الصوفية يمنح خرقة تعتبر رمزا للفقراء واعتزال الدنيا، وقد أجدت القصص الصوفية تبعا لأسلوبها ومنهجها أصلا للخرقة في السيرة النبوية وربطت موضوعا بالني نفسه".<sup>٥</sup>

وقال: "ولكن لا نستطيع أن نتجاهل أن الخرقة كرمز للاندماج في الجماعة الصوفية تشبه طريقة الاندماج في جماعة "البهكشو" الهندية الذي يتم بتسليم الثوب، ومعرفة القواعد والآداب التي يتحتم على المرید اتباعها".<sup>٦</sup>

ومن وجه آخر فإن لبس الصوف الذي كان سببا في تسمية الصوفية بهذا الاسم مما عرف به رهبان النصراني فقد روى ابن الجوزي أن حماد بن أبي سليمان قدم البصرة فجاءه فرقد السبخي وعليه ثوب صوف، فقال له حماد: ضع عنك نصرانيتك هذه.<sup>١</sup>

<sup>١</sup> فينايا(١٥٢) نقلا عن البوذية، د. الله نومسوك (٢٩٧-٢٩٨).

<sup>٢</sup> انظر: المصدر السابق(١١٥)، نقلا عن البوذية(٢٩٨).

<sup>٣</sup> انظر: قوانين الرهبنة(٢/٢٤٧)، نقلا عن البوذية(٢٩٨).

<sup>٤</sup> البوذية (٢٩٨).

<sup>٥</sup> العقيدة والشريعة (١٦٣).

<sup>٦</sup> المصدر السابق (١٦٤).

ونقل عن أبي العالية أنه جاءه رجل وعليه ثياب صوف فقال له أبو العالية: إنما هذه ثياب  
الرهبان<sup>١</sup>.

ويذكر **الجاحظ** أن النصراني إذا أراد أن يتنسك يلبس الصوف<sup>٢</sup>.

**فالخرقة إذا بدعة مذمومة ومشاهدة قبيحة للديانات السابقة.**

---

<sup>١</sup> تلبس إبليس (١٨٨)، وانظر: الحلبة (٤/٢٢١-٢٢٢).

<sup>٢</sup> تلبس إبليس (١٨٩)، والحلبة (٢/٢١٧)، والطبقات لابن سعد (٧/١١٥).

<sup>٣</sup> كتاب الحيوان (١/١٠٣).